المقالة العاشرة[1]
طاعة جهة الولاء دليل صدق الانتماء

الحمدلله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وبعد:

فإنّ الطاعة التي هي مصدر مشتق من الفعل الرباعي أطاع يطيع طاعة فهو مطيع وطائع إذا تجاوب مع الطلب وفعل ما أمر به مطلوبة شرعاً وعقلاً:

أولاً: أما الدليل علىٰ وجوب طاعة ولي الأمر شرعاً فقول الله تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولىٰ الأمر منكم﴾**[2] وقول رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصىٰ الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصِ الأمير فقد عصاني)[3] مع الإشارة إلىٰ أنّ طاعة ولي الأمر مقيدة في الشرع بما إذا أمر بمباح أو بواجب شرعي، وإلاّ بأن أمر بمعصية فإنه لا

---

(١) شهر شوال سنة ١٤١٤ هـ.

(٢) سورة النساء: آية ٥٩.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي. انظر جمع الفوائد ج ١ ص ٨٤٥. باب طاعة الإمام. رقم الحديث ٦٠٢٧.

طاعة له عندئذٍ، لأن أمر الله تعالىٰ مقدم علىٰ كل من سواه كما قال تعالىٰ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إنّ الله سميع عليم**﴾[1]. وفي الحديث (علىٰ المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره إلاّ أن يؤمر بمعصية فإنّ أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[2].

ثانياً: وأما الدليل علىٰ وجوب طاعة ولي الأمر عقلاً فإنّ الكتلة البشرية المتجانسة في المعتمد لا بدّ لها من رئيس تجتمع عليه ليقوم بتدبير شؤونها وتصريف أمورها فينسِّق بين طاقات رجالها وقدرات أبنائها حتىٰ لا يكون هنا تضارب أو تصادم فيما بينها فتتبدّد تلك الطاقات وتتحطم تلك القدرات علىٰ صخرة مؤامرات خصُومها الطامعين فيها، كالحال في الجسد البشري لا بدّ له من رأس ترتبط به جميع أجزاء البدن عبر الجهاز العصبي الذي يشدّ كل خلية وكل عضو وكل جهاز في البدن إلىٰ الدماغ في الرأس الذي يقوم بتوجيه الأوامر إلىٰ الأجهزة التنفيذية الإرادية فيه كي تقوم بدورها في تحقيق مصالح هذا البدن بجلب النفع له ودفع الضرّ عنه.

---

(١) سورة الحجرات: آية ١.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة: النسائي وأبو داود وابن ماجه والترمذي. انظر جمع الفوائد ج ١ ص ٨٤٥ رقم ٦٠٣٠.

ومتىٰ لم يكن هناك تجاوب وطاعة من أفراد الكتلة البشرية المتجانسة في المعتقد مع الرئيس تعطلت مصالح تلك الكتلة وأحدقت بها الأخطار من كل صوب بحكم قانون الصراع الكائن بين المخلوقات حيث يتسلط القوي فيها علىٰ الضعيف فيقضي علىٰ كيانه ويحوله إلىٰ مزق وأشلاء يقتات عليها، كما تتعطل مصالح البدن البشري حين لا يتجاوب أعضاؤه التنفيذية الإرادية بعد أن توجه إليها الأوامر من الرأس لشلل عضوي فيها فيضعف صاحب ذلك البدن عن مقاومة الخصوم والأعداء، ويتمكنون من القضاء علىٰ حقوقه وإنهاء وجوده.

ومن هنا كانت طاعة ولىٰ الأمر في الإسلام واجبة بصورة قطعية وإن كرهت النفس ذلك بسبب فوات مصالحها الخاصة بتلك الطاعة لأن المصلحة العامة تقدم عليها، ولذلك حذر الله تعالىٰ من مخالفة أوامر رسول الله ﷺ باعتباره رسولاً وباعتباره قائداً للأمّة فقال تعالىٰ: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أنه تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[1] وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وعلىٰ

---

(١) سورة النور: آية ٦٣.

أثرة علينا وعلىٰ أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان)[1]. وعن ابن عباس مرفوعاً: (من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية)[2].

فعلىٰ الأفراد والجماعات والشخصيات والدول مراعاة هذه الحقيقة، ليكون ذلك دليلاً علىٰ صدق انتمائهم إلىٰ الأمّة الإسلامية. والله المستعان.

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ٩١ كتاب الإمارة. باب البيعة على السمع والطاعة. رقم الحديث ١٢٢١.

(٢) رواه البخاري ج ٩ ص ٧٨ كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام.